الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس / مستغانم

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر فلسفة. تخصص الفلسفة العامة وتعليمياتها
الموسومة:

إشكالية الحداثة في الوطن العربي
محمد عابد الجابري ومحمد أركون أنموذجاً

إعداد الطالبة: ***إشراف الأستاذ:***

تكيك سمية ***د/ براهيم أحمد***

السنة الجامعية: 2012-2011

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس / مستغانم

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر فلسفة. تخصص الفلسفة العامة وتعليمياتها
الموسومة:

إشكالية الحداثة في الوطن العربي
محمد عابد الجابري ومحمد أركون أنموذجاً

إعداد الطالبة: ***إشراف الأستاذ:***

تكيك سمية ***د/براهيم أحمد***

السنة الجامعية: 2012-2011

الفهرس

الإهداء.

شكر و تقدير.

مقدمة عامة ..... أ

الفصل الأول: في ماهية الحداثة وأنساقها

تمهيد 10

المبحث الأول: مفهوم جينيالوجيا الحداثة عند الغرب..... 11

المبحث الثاني: الأنساق المعرفية المؤسسة لمفهوم الحداثة في العالم العربي..... 18

خلاصة الفصل 24

الفصل الثاني: رواد الحداثة ومنظروها في العالم العربي

تمهيد 25

المبحث الأول: الحداثة و أزمة الوعي عند الجابري.....27

المبحث الثاني: الحداثة عند محمد أركون 35

خلاصة الفصل.....41

الفصل الثالث: الحداثة وقيم المجتمع:بين روح العصر ومتطلبات المستقبل

تمهيد 43

المبحث الأول: أثار الحداثة في العالم الإسلامي.....44

المبحث الثاني: الحداثة وأساليب المقاومة 50

خلاصة الفصل 55

الخاتمة 56

قائمة المصادر والمراجع 59

الإهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

{قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}

صدق الله العظيم

سورة التوبة، الآية(105)

إلهي لا يطيب الليل إلاّ بشكرك ولا يطيب النهارإلاّ بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلاّ بذكرك ولا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك ولا تطيب الجنّة إلاّ برؤيتك **"الله جل جلاله"**

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبيّ الرحمة ونور العالمين **"سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم"**.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد **"والدي العزيز"**

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب **"الوالدتين الكريمتين"**

إلى توأم روحي ورفيقة دربي إلى صاحبة القلب الطيب والنوايا الصادقة إلى من رافقتني منذ أن حملنا حقائب صغيرة ومعك سرت الدرب خطوة بخطوة وما تزال ترافقني حتى الآن أختي **"وفاء"**.

إلى زهرة النرجس التي تفيض حبا وطفولة ونقاءا وعطرا وإلى ينبوع التفاؤل والأمل أختي " **فريال**".

إلى إخوتي ورفقاء دربي وهذه الحياة بدونكم لا شيء، معكم أكون أنا ،وبدونكم أكون مثل أي شيء في نهاية مشواري أريد أن أشكركم على مواقفكم النبيلة ،إلى من تطلعتم لنجاحي بنظرات الأمل إخوتي **"عبد القادر"سفيان"، عابد ،محمد.**

إلى من أرى التفاؤل بعينه والسعادة في ضحكته،إلى شعلة الذكاء والنور ،إلى الوجه المفعم بالبراءة ،بمحبتك أزهرت أيامي وتفتحت براعم للغد أخي **"طيب"**.

إلى الأخوات التي لم تلدهن أمي إلى من تَحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت ،وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت ، إلى من كانوا على طريق النجاح والخير إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني ألاّ أضيعهم صديقاتي " **فاطمة ، نوال ، بختة ، حليمة ، سعاد ، فاطمة ، أمينة، حفيظة ، أمال** "

وإلى زميلاي في الدراسة **"عبد الحميد" "عبد القادر"**

وأخيرا إلى كافة الأهل والأحباب ومن مهدوا الطريق أمامي للوصول إلى ذروة العلم .

كلمة شكر وتقدير

لابد لي وأنا أخطو خطواتي الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة أعود إلى أعوام قضيتها في ترابها مع أساتذتنا الكرام الأفاضل

الذين قدموا لي الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد وقبل أن أمضي ، أقدم اسمى آيات الشكر والإمتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة

إلى جميع أعضاء **قسم الفلسفة**

كما أخص بالتقدير والشكر

الأستاذ المؤطر

د/ براهيم أحمد

على جهوده المبذولة معي

وأرجو من الله أن يجعلها في ميزان حسناته

كما أنني أتقدم بالشكر الجزيل لكل من وقف إلى جانبي عندما ضللت الطريق فكانوا خير من أعانني لهم مني كل التفاؤل والمضي الى الأمام .

شكرا

جعله الله في موازين حسناتهم.

مقدمة

لقد تناول المفكرين والفلاسفة مشروع الحداثة كمشروع شامل، يهدف إلى تطوير المجتمعات في كافة المجالات العلمية، السياسية، الاقتصادية و الاجتماعية ...الخ ويستند إلى فاعلية الإنسـان أو بالأحرى مركزية الإنسان في الكون،وقد افتتح هذا المشروع بتغيير المفاهيم الغربية الكلاسيكية بخصوص الفكرة الدينية ابتداء منذ عصر النهضة، والذي قدم مفاهيم نخبوية حداثوية، ساعد عصر الأنوار على تحويلها من كونها "***ثقافة نخبة***" إلى "***ثقافة شعبية***" أكدت قيما عديدة كالعدالة، الحرية، المساواة وغيرها ...وقد ساهم في هذا المشروع الفلسفي الحداثوي الغربي فلاسفة كثيرون، يقف في طليعتهم***ديكارت***، ***كانت*** و **هيجل**، والذين شكلت أفكارهم أساسا لعملية التحديث الغربي فيما بعد.

فالحداثة اتخذت نظرة جديدة إلى المعرفة والطبيعة والعقل والزمن والإنسان، وشملت المجتمعات الغربية والعربية بحيث أخذت حيزا كبيرا وهاما في العالم العربي وأحدثت تغيرات وتناقضات على جميع المستويات فمنها ما هو مفيد ومنها ما هو هدام للفكر العربي.

وما يهمنا في هذه الدراسة، ***الحداثة العربية*** أو بمعنى دقيق الحداثة في العالم العربي- على وجه الخصوص- بحيث لعبت الحداثة دورا كبيرا في بلورة أفكار حداثية جديدة للعالم العربي حول المقومات والمبادئ العربية، بحيث كان لها صدى واسع في مختلف المجالات والاتجاهات، وكانت بمثابة نقلة فكرية متنوعة أحدثت تغيرات على مختلف الأصعدة العربية، بحيث حاولت فرض نفسها بطريقة أو بأخرى. ونظرا لهذا الدور الهام الذي شكلته الحداثة في العالم العربي نحاول من خلال هذا البحث استجلاء محتوى أو مضمون هذه التغيرات والتأثيرات التي أحدثتها الحداثة في العالم العربي لذلك جاء البحث تحت عنوان " ***إشكالية الحداثة في الوطن العربي***".

وكان ***سبب اختيارنا لهذا الموضوع*** لما فيه من مظاهر وأفكار تدفع الإنسان إلى الإطلاع على دورها ومكانتها في العالمين الغربي والعربي وأهم التغيرات والآثار التي أحدثتها، والرغبة في دراستها والوقوف على كل معطياتها ومخططاتها لكي يُفهم ما الهدف الذي تسعى إلى الوصول إليه وما هي أهم المستجدات التي تحاول فرضها ومعرفة مدى أهمية اللجوء إليها أو الاستغناء عنها.

وفي دراستنا لهذا الموضوع أثرنا أن نرصد أهم المستجدات الحداثية في الوطن العربي وأهم النماذج العربية التي درست هذه الإشكالية، وجل التأثيرات التي أحدثتها ومختلف الوسائل المقاومة لها والتي من خلالها ساعدتنا على صياغة الإشكالية التالية: **كيف عولجت إشكالية الحداثة في الوطن العربي ؟ *وكيف درسها وحللها الفلاسفة والمفكرون العرب؟ وما مدى تأثيرها على العالم العربي و الإسلامي؟***

وقد أدرجنا تحت هذه الإشكالية العامة الإشكالات الفرعية التالية:

* ما هي أهم المدلولات الفلسفية للحداثة عند روادها الغربيين؟ وعند روادها العرب؟

* كيف درس ونظر كل من ***محمد عابد الجابري*** و***محمد أركون*** مشروع الحداثة وعلى أي صعيد تم تحليلها ومناقشاتها؟

* ما هي الآثار التي أحدثتها الحداثة في العالم الإسلامي؟ وكيف تم مواجهتها والتعامل معها؟

واعتمدنا في هذا البحث على***منهجين: التاريخي والتحليلي***، فالمنهج التاريخي يندرج من خلال تتبع كرونولوجيا تاريخ بداية الحداثة عند الغربيين، والمنهج التحليلي من خلال تحليل أفكار الفلاسفة والمفكرين .

أما ما يتعلق ***بالصعوبات*** التي وجهناها طيلة انجازنا لهذا البحث، فقد تمثلت في:

1- نقص المصادر والمراجع المخصصة في هذا المجال.

2- إضافة إلى أن الحداثة أخذت مجال ومساحة كبيرة من الدراسة في العالم العربي وشغلت فكر العديد من المفكرين العرب كل مفكر تناولها من منطلقه الخاص وربطها بالعديد من القضايا لذلك كانت هناك بعض الصعوبات في الإلمام بجميع أفكارهم حتى نستوفي حق كل واحد منهما خلال بحثنا هذا.

ولضرورة منهجية قمنا بتقسيم العمل إلى***ثلاثة فصول*** كل فصل يحتوي على مبحثين اثنين فقد تناولنا في ***الفصل الأول*** المعنون بـ" ***في ماهية الحداثة*** " أهم المفاهيم المتمحورة حول موضوع الحداثة عند رواده الغربيين وعند دارسيها العرب، بحيث لكل منهما مدلول وخلفية صاغ من ورائها تعريفه أو رأيه حولها.

أما فيما يخص ا***لفصل الثاني*** المتعلق بـ "***رواد الحداثة ومنظروها في العالم العربي***" فقد تطرقنا فيه إلى إبراز أهم الآليات التي بنى عليها المفكرون العرب دراستهم حول مشروع الحداثة وبما ربط كل منهما موضوع الحداثة في دراسته لها.

وأخيرا ***الفصل الثالث*** الذي كان عنوانه "***الحداثة وقيم المجتمع: بين روح العصر ومتطلبات المستقبل***" حيث خصصنا المبحث الأول لتوضيح أهم أثار الحداثة في العالم الإسلامي من خلال جملة من الآثار التي أحصيناها في بحثنا والمبحث الثاني أدرجنا فيه مختلف أساليب مقاومة الحداثة شرحا وتفصيلا.

وفي الخاتمة فحاولنا الإجابة عن أهم التساؤلات ودوّنا فيها أهم النتائج.

الفصل الأول

في ماهية الحداثة وأنساقها

تمهيد.

في السنوات الأخيرة كثر استعمال مصطلح الحداثة وأصبحت الخطابات و الحوارات والندوات السياسية بالخصوص، لا تخلو من هذا المصطلح نظرا لمكانته البارزة في العصر الحالي فهي مفهوم يشير بوجه عام إلى سيرورة الأشياء بعد أن كان يشير إلى جوهرها، وقبل التطرق إلى حيثيات هذا الأخير من حيث مكانته الغربية والعربية لابد من الإشارة إلى مدلولاته اللغوية والاصطلاحية، فماذا يقصد بالحداثة؟ وما هي أهم السياقات التي تداولتها كل من الحداثة الغربية والعربية؟

المبحث الأول

مفهوم جينيالوجيا الحداثة عند الغرب

إذا حاولنا في البداية استجلاء مصطلح ***الحداثة*** فإننا سنجده في اللغات الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية) يقابل Modernism و modernity ومثلهما في الفرنسية، مشتقة من الفعل حدث، أو يحدث، ووصف لما هو حديث، ويمكن أن ترد في سياق يفيد مااستحدث أو ما جدّ من تطور كما تفيد العصرنة والانسجام من مستجدات العصر الحديث، وتطلق كلمة "حديث" على ما هو جديد ما لم يكون موجودا من قبل وقد ورد في فتاوى ابن تيمية أن الحادث في اللغة ما كان بعد أن لم يكن، وأما المحدثات التي قال عنها الرسول "ص" (بأن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)[1].

أما المفهوم الاصطلاحي لكلمة الحداثة فهو ذو حمولة فلسفية وإيديولوجية، ترتكز على أحداث ووقائع تميزت بها حقبة تاريخية معينة في حيز جغرافي محدد، ويتعلق الأمر بالتحولات السياسية، الفكرية، العلمية، الاقتصادية والحضارية التي عرفتها أوروبا الغربية في مرحلة زمنية لا تتفق فيها الآراء على تحديدها بالضبط وتمتد على الأرجح بين بداية القرن السادس عشر والقرن العشرين وحسب القاموس الدولي للمصطلحات الأدبية فإن وصف حديث (moderne) بدأ يستعمل في المحادثة الفرنسية في القرن السادس عشر، للتمييز بين ما يرجع الماضي المتمثل في العهد الإغريقي والروماني وما هو حديث في تلك الفترة التي امتدت إلى القرن الثامن عشر[2].

وبعد هذا التمهيد لماهية الحداثة واستجلاء محتواها اللغوي والاصطلاحي نستعرض مفهوم الحداثة عند أربابها الغربيين.

وإذا حاولنا ضبط وتتبع المفهوم عند الغربيين فإننا سنجدهم يرّكزون على أن على أسسها وأصولها وإن اختلف بعضهم حول طبيعة هذا المصطلح وتفاصيله فهم يجمعون على أن الحداثة

---

[1]- النحوي عدنان علي رضا، **نظرية تقويم الحداثة**، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، السنة1993، ص.3.

[2]- Dictionnaire International des termes littèraires,mode article,modernity,(http :www.ditl.info/art/ Definition,php,term=2976.

منهج تغييري ومذهب انقلابي في المفاهيم والأفكار يختفي تحت شعار التطور والتقدم، ويقرر أولئك الغربيون أن هذا المنهج التغييري جاء نتيجة لمناهج تعبيرية سبقته، وهي ما يعبرون عنها بالهزات الحضارية التي غيرت وبدلت في المفاهيم والأفكار والمبادئ حتى أنتجت الحداثة بصفتها منهجا لابد منه للتقدم والتحضر[1].

كما أن الحداثة تعني عند الغربيين حتمية الصراع مع القديم – كل قديم ما عدا الظواهر الفلسفية والباطنية والثورية، وبالتالي رفضه ونفيه وضرورة التحول والتطور إلى فكر جديد يقوم على أنقاض القديم ويختلف معه في المضمون، ثم تأتي المرحلة الزمنية التي بعد هذه المرحلة فتتغير وتتطور المفاهيم والأفكار لتناسب العصر الجديد، وهكذا فالمبادئ والعقائد والقيم في تطور مستمر ولكل زمن وعصر حداثته.

والحداثة في مفهوم قادتها من مفكري الغرب، كما يقول أحدهم: (تحتوي على الكثير من ظلال المعنى الذي قد لا ننجح في استخدامه بصورة دقيقة، يتطور مفهوم الحداثة بتطور الزمن فما كان حديثا في السنة الماضية لا يكون حديث في هذه السنة[2]).

إذن العمل الحداثي يتميز بالسرعة في التغيير والتبديل في عقائد الناس ومفاهيمهم من أجل مواكبة الحركة الزمنية التي تسير بسرعة متناهية.

يقول" نور ثورب فراي" عن مفهوم الحداثة بأنه (ذلك النمط من وعي الإنسان المعاصر أهمية اللحاق بحركة الزمن هذا الوعي الذي غالبا ما ينتهي باليأس لتزايد سرعة هذه الحركة[3]).

[1]- بن أحمد العلي محمد بن عبد العزيز،**الحداثة في العالم العربي ،دراسة عقدية**، المجلد الأول، السنة 1414هـ ، ص123.
[2]- المرجع نفسه، ص125.
[3]- المرجع السابق، ص126.

فالحداثة هي مجمل ما يتوصل إليه البشر من قوانين وأفكار بواسطة اشتغالهم العقلي ويصوغونها في قوالب فنية وأدبية.

ويقول "تورين" إن فكرة الحداثة كانت التأكيد على أن الإنسان هو ما يصنعه، مما يوجد توافقا وثيقا بين الإنتاج وتنظيم المجتمع والحياة الشخصية، ويقدم تعريفا محددا للحداثة بأنها (الإنفصال المتزايد بين العالم الموضوعي الذي خلقه العقل المنسجم مع قوانين الطبيعة وبين عالم الذاتية الذي هو قبل كل شيء عالم الفردية أونحو أدق، عالم الدعوة إلى الحرية الشخصية ...[1].)

يقول" مالكم براد بري وجيمس ما كفارلن" في كتابهما عن الحداثة :(يبقى لهذا المصطلح تأثيره من حيث ارتباطه بمشاعرنا التي تجعلنا نتصور أننا نعيش في زمن حديث كل الحداثة وأن التاريخ المعاصر هو منبع أهميتنا وأننا أيضا نتاج "سيناريو" الحاضر وليس الماضي)

يقول "فريدريك نيتشه"

(فالحداثة تقوم على أساس إضفاء صفة المطلق على هيأتها الحاضرة، بما هي انقطاع جذري عن الأصل، وبما هي انغراس كلي في الحاضر[2].

يؤكد الحداثيون الغربيون على أن أخص مفاهيم الحداثة هو الثورة على كل ما هو قديم وثابت والنفور من كل ما هو سائد من أمور العقيدة والفكر والقيم واللغة والشؤون السياسية والأدبية والفنية فهي إذن ثورة على الواقع بكل ما فيه من ضوابط، وهذا ما تدل عليه الحداثة في جميع مراحلها[3]

[1] - حسين محمود رواء، **إشكالية الحداثة في الفلسفة الإسلامية المعاصرة**، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق سوريا،السنة 2010م ، ص19.

[2] - Nietzsche (F),la généalogie de la morale,Notes et commentaires de J.Deschamps,Nathan,1981,p53.

[3]- بن أحمد العلي محمد بن عبد العزيز،**الحداثة في العالم العربي <دراسة عقدية>** مرجع سابق، ص126.

الحداثة تعني التطور التاريخي والتبدل الفكري الثائر على ما سبقه من ثقافات ومبادئ، إنها موقف معارض لجميع الحضارات السابقة القائمة على ثوابت، وهذا الموقف يجب أن يكون كليا شاملا عالميا بعد انطلاقه من الغرب[1] .

يقول "جان بودريار" (مفكر غربي)(ليست الحداثة مفهوما سوسيولوجيا ولا مفهوما سياسيا وليست بالتمام مفهوما تاريخيا بل هي نمط حضاري خاص يتعارض مع النمط التقليدي، أي مع كل الثقافات السابقة عليه أو التقليدية فمقابل التنوع الجغرافي والرمزي لهذه الأخيرة تفرض الحداثة نفسها على أنّها شيء واحد متجانس رائع عالميا انطلاقا من الغرب[2])

بمعنى أن الحداثة تبقى حريصة على ضرورة التغير من النمط التقليدي إلى النمط الحضاري لأن كما ذكرنا سابقا فهي تهدف إلى القضاء على كل ما هو قديم والتقدم نحو خطوات الحضارة والتطور.

يؤكد أحد الحداثيين الغربيين على أن الحداثة قوة ومغامرة تسعى لتدمير المعروف والمألوف وما عليه الناس من حقائق، وأن الحداثة صراع وتضاد وغموض هدفه اختصار الحدود الدينية والعرقية، إنها تفكك دائم.

يقول "مارشال بيرمان" في تعريفه للحداثة :(....فمعنى أن نكون محدثين هو أن نجد أنفسنا في مناخ يعدنا بالمغامرة والقوة والبهجة والنماء وتغيير أنفسنا والعالم، وفي الوقت نفسه يهددنا بتدمير كل ما لدينا، كل ما نعرفه، كل ما نحن عليه[3])

[1]- المرجع نفسه، ص-ص126-128.

[2]- سبيلا محمد وبنعبد العالي عبد السلام،**الحداثة وانتقاداتها، نقد الحداثة من منظور غربي**، دار توبقال للنشر، ط1،الدارالبيضاء المغرب، السنة2006م، ص.7.

[3]- بن أحمد العلي محمد بن عبد العزيز،**الحداثة في العالم العربي، دراسة عقدية**، مرجع سابق، ص-ص132-133.

وهذا يعني أن المناخات التي تقتصر على الحداثة، تختصر كل الحدود الجغرافية والعرقية بما فيها من حدود الطبقة والقومية وحدود الدين والإيديولوجيا وأن الحداثة جاءت لتجعل من البشرية وحدة متكاملة لكن هذه الوحدة هي بحد ذاتها إشكالية تضعنا في جملة من التناقضات بين التفكك والتجدد بين الصراع والتضاد بين الغموض والمعاناة بمعنى كل من كان حديثا هو جزء من العالم.

يعرفها ماركس وإميل دوركايم وماكس فيبر: (تجسد صورة نسق اجتماعي متكامل، وملامح نسق صناعي منظم وآمن وكلاهما يقوم على أساس العقلانية في مختلف المستويات والاتجاهات.)[1]

ويعرف الفيلسوف الألماني " كانت " الحداثة في سياق إجابته عن سؤال ما الأنوار فيقول: "الأنوار أن يخرج الإنسان من حالة الوصاية التي تتمثل في استخدام فكره دون توجيه من غيره".وباعتبار أن (كانت) من آباء الحداثة الغربية فإنه يؤكد "في كل أعماله أن شرط التنوير والحداثة هو الحرية... بمعنى أن العقل يجب أن يتحرر من سلطة المقدس ورجال الكهنوت والكنيسة وأصنام العقل"[2].

ويعرف (رولان بارت) الحداثة بأنها "انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه" ويصف لنا (جوس أورتيكا كاسيت) الحداثة قائلا: "إن الحداثة هدم تقدمي لكل القيم الإنسانية التي كانت سائدة في الأدب الرومانسي والطبيعي، وأنها لا تعيد صياغة الشكل فقط بل تأخذ الفن إلى ظلمات الفوضى واليأس"[3].

[1]- وطفة علي، **مقاربة في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة**، "مجلة فكر ونقد" – المغرب عدد(34)، السنة 2005م، ص.2.
[2]-المرجع نفسه، ص.11.
[3]- النحوي عدنان علي رضا،**تقويم نظرية الحداثة**، مرجع سابق، ص.35.

وخلاصة لما سبق هذه جملة من آراء الغربيين حول مفهوم الحداثة فهي مفهوم حضاري اهتم به الغرب إلى أبعد الحدود إلى درجة جعلت كل الحضارات الغربية تسعى جاهدة نحوه على حساب الخلفيات التي انطلقت منها.

المبحث الثاني

الأنساق المعرفية المؤسسة لمفهوم الحداثة في العالم العربي.

يكاد الباحثون يجمعون على حقيقتين تخصان الحداثة في نسختها العربية: أولاهما أن هذا المصطلح قد دخل إلى مجال التداول في الفكر العربي بتأثير من الحداثة الغربية وثانيتهما أن هذا الدخول قد بدأ منذ النصف الثاني من القرن العشرين فمحمد شكري عياد يذكر تأثيرات الحرب العالمية الثانية وما نتج عنها من تطورات عالمية أدت إلى ظهور جماعات من اليهود والأجانب في مصر تحاول جمع شتاتها ليكون لها مكان داخل هذه التطورات ومن أولى هذه الجماعات: جماعة الفن والحرية التي رفعت شعار تحرير الفن من الدين والوطن والجنس[1].

أما من حيث الدلالة، فقد سار الحداثيون العرب على خطى أمثالهم الغربيين في إعطاء الحداثة بعدا فكريا وتجريدها من الجانبين الزمني والتقني، فتم التمييز بين الحديث والتحديث وبين الحداثة، يقول المفكر الجزائري محمد أركون (الحداثة هي موقف للروح أمام مشكلة المعرفة (...) أما التحديث فهو مجرد إدخال للتقنية والمخترعات الحديثة (...)[2]فالحداثة إذن غير التحديث.

كما أن الأمور التي يجب الإشارة إليها في هذا الجانب الدلالي هو أن تلقي الحداثيين العرب للمصطلح الغربي لم يأت مبنيا على أساس التمييز بين الحداثة وما بعد الحداثة بل تم تلقي كلا المفهومين ضمن مصطلح واحد وهو مصطلح الحداثة،لهذا جاءت الحداثة عندهم موسومة بكل السمات التي ميزت الحداثة الغربية من تمرد القيم وإيمان بالتجريب والتجاوز المستمرين في كل مجالات الفكر والثقافة والفن[3].

ويمكننا أن نلمس تبنيا لهذه السمات المميزة للحداثة الغربية ولما بعد الحداثة في مجموعة من المجالات التي تناولتها الحداثة العربية تنظيرا وتطبيقا منها: اللغة والفكر والنص والفن والدين.

كما تقوم نظرة الحداثيين العرب إلى اللغة على أساس الربط بينها وبين الفكر فيعتبرون تحرير اللغة سبيلا إلى تحرير الفكر لهذا نجد عندهم دعوات لهدم بنية التعبير في اللغة العربية وإعادة

[1]- عياد محمد شكري،**المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين**، سلسلة عالم المعرفة، السنة1998م، ص.62.
[2]- أركون محمد، ترجمة: صالح هاشم،**الإسلام والحداثة**، دار بديات، (د ط) ، سوريا، السنة2008م
[3]- المرجع السابق،ص-ص65-67.

بنائها من جديد، وهذا الهدم وإعادة البناء لا يمكن أن يتما في نظرهم إلا بتحرير اللغة العربية من إحالاتها الدينية وارتباطها بالدين، يقول محمد أركون:(إن التعبير باللغة العربية عن موضوعات أساسية تخص التفكير بالظاهرة الدينية يبدو صعبا جدا بالقياس إلى اللغات الأروبية الحديثة التي سبقتها إلى العلمنة وافتتاح الحداثة، وتخلصت من التأثيرات الدينية والشحنة الدينية.ضغط على الفكر وتسجنه ضمن سياج ضيق محدود، يضاف إلى ذلك أن الشيء الآخر الذي يشكل حرية اللغة الفرنسية (...) هو أنه لا توجد لها علاقة بنص الإنجيل[1])

وهذا ما يجعلنا نفهم سر دعوة الحداثيين المستمرة حول عقلنة الفكر وتجريده من كل صلاته بالدين وثورتهم المعلنة ضد مناهج الدراسات الإسلامية والتعليم الديني باعتباره مناقضا في نظرهم للتفكير الفلسفي والعقلاني.

كما يقوم موقف الحداثيين العرب على قراءة النص وتأويله على منجزات الحداثة ومابعد الحداثة في الغرب في إنجاز هذه القراءة بالاعتماد على البنيوية والتفكيكية ونظريات التلقي وما جاء به هذان المنهجان وهذه النظريات من مقولات تخص موت المؤلف وانتقاء القصد وانتقاء المعنى القبلي في النص والخروج إلى فوضى القراءة من خلال القول بالدلالات غير النهائية للنص دون أن تستثنى النصوص الدينية من هذه المقولات عند الحداثيين العرب[2].

ولا يخفى على أحد فان الحداثيون العرب يبنون معظم مذاهبهم الحداثية على المنوال الغربي في مجال الفن دون اعتبار أن كون هذه المذاهب الفنية ذات صلة وثيقة بالمذاهب الفكرية والفلسفية التي أنتجتها الحضارة الغربية في إطار الصراع الطويل الذي شهدته بين الدين والعقل وبين الذات والموضوع وبين المادية والمثالية... وفي إطار التعبير عن أزمة الإنسان الغربي الحديث وغربته في عالمه الجديد وتمرده عليه، فقد استنسخ الحداثيون العرب مذاهب تعبر في أصلها عن أزمة الإنسان الغربي الحديث كالسريالية والعبثية والوجودية، كما استنسخوا مفاهيم

[1]- أركون محمد، تر: صالح هشام،**الإسلام والحداثة**، مرجع سابق، ص.64.

[2]-www.diwanalarab.com

ومقولات تميز هذه المذاهب كالغربة والقلق وتجريد الفن من جانبه الرسالي، وتحريره من الدين والأخلاق وتمجيد كل أشكال الخرق والتمرد في اللغة وأساليب التعبير والقيم المألوفة يقول أدونيس (كلنا يعرف من هو المسيح، ولعلنا جميعا نعرف كيف خاطبه رامبو(يسوع، يا لصا أزليا يسلب البشر نشاطهم) حين تصل جرأة الإبداع العربي إلى هذا المستوى، أي حين تزول كل رقابة، يبدأ الأدب العربي سيرته الخالقة المغيرة البادئة المعيدة[1])

ويقرر أدونيس نفسه أن الحداثة في المجتمع العربي إشكالية معقدة، لا من حيث علاقاته بالغرب وحسب، بل من حيث تاريخه الخاص أيضا، ثم يقسم الحداثة إلى ثلاثة أقسام : الحداثة العلمية وحداثة التغيرات الثورية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحداثة الفنية.

وتشترك هذه الأنواع الثلاثة في (خصيصة أساسية هي أن الحداثة رؤيا جديدة، وهي جوهريا رؤيا تساؤل واحتجاج، تساؤل حول الممكن واحتجاج على السائد) [2]، إذن من شروط الحداثي أن يخالف السائد والمألوف، ويثور على الثابت من المبادئ والأفكار والأخلاق وغيرها.

حيث يقول عبد الله الغذامي، وهو حداثي من أرض الجزيرة العربية يشترط على الحداثي أن يخالف السائد والمألوف فيقول (من شرط الإبداع أن يكون فوق السائد والمألوف...).

ويؤكد هذا الشرط الحداثي العراقي نصيف الناصري فيقول (...فما معنى أن نتحدث عن الحداثة ونحن نكتب وفق المفاهيم السائدة ونظم التأليف الموروثة[3])

ووضع فتحي التريكي تعريفا واسعا للحداثة، حيث يقول بأنها (مجموعة من العمليات التراكمية التي تطور المجتمع بتطوير اقتصاده وأنماط حياته وتفكيره وتعبيراته المتنوعة، معتمدة في ذلك على جدلية العودة والتجاوز، عودة إلى التراث بعقل نقدي متجذر، متجاوزة التقاليد المكبلة ومحررة

[1]- المرجع نفسه.
[2]- بن أحمد العلي محمد بن عبد العزيز، **الحداثة في العالم العربي**،< **دراسة عقدية**>، مرجع سابق، ص136.
[3]- المرجع نفسه، ص137.

الأنا من الإنمائية الدوغمائية الضيقة، سواء كانت للشرق أم للغرب، للماضي أم للحاضر لتجعل من الحضور آنية فاعلة، مبدعة في الذات والمجتمع ومن الإقبال عنصرا معيارا للفكر والعمل[1])

كما وضع محمد سبيلا أيضا تعريفا للحداثة: (هي مفهوم حضاري شمولي يطال كافة مستويات الوجود الإنساني حيث يشمل الحداثة التقنية والحداثة الإقتصادية وأخرى سياسية وإدارية واجتماعية وثقافية وفلسفية...الخ

يرى جابر عصفور أن الحداثة:"البحث المستمر للتعريف على أسرار الكون من خلال التعمق في اكتشاف الطبيعة والسيطرة عليها وتطوير المعرفة بها، ومن ثم الارتقاء الدائم بموضع الإنسان من الأرض، أما سياسيا واجتماعيا فالحداثة تعني الصياغة المتجددة للمبادئ والأنظمة التي تنتقل بعلاقات المجتمع من مستوى الضرورة إلى الحرية، من الاستغلال إلى العدالة، ومن التبعية إلى الاستقلال ومن الاستهلاك إلى الإنتاج، ومن سطوة القبيلة أو العائلة أو الطائفة إلى الدولة الحديثة ومن الدولة التسلطية إلى الديمقراطية (تعني الحداثة الإبداع الذي هو نقيض الاتباع، والعقل الذي هو نقيض النقل).

ويرى ناصيف أن الحداثة "هي حالة خروج من التقاليد وحالة تجديد، وتتحدد الحداثة في هذا المعنى بعلاقتها التناقضية مع ما يسمى بالتقليد أو التراث أو الماضي[2]"

والحداثة عند كمال أبو أديب هي: "وعي الزمن بوصفه حركة تغيير... والحداثة اختراق لهذا السلام مع النفس ومع العالم، وطرح للأسئلة القلقة التي لا تطمح إلى الحصول على إجابات نهائية، بقدر ما يفتنها قلق التساؤل وحمى البحث، والحداثة جرثومة الاكتناه الدائب القلق المتوتر إنها حمى الانفتاح".

ويقول أيضا: "الحداثة انقطاع معرفي ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر

[1]- التريكي فتحي، **الحداثة وما بعد الحداثة**، دار الفكر، دمشق، السنة2003، ص.313.
[2]- وطفة علي، **مقاربات في مفهومي الحداثة ومابعد الحداثة**، "مجلة فكر ونقد" ، مرجع سابق، ص3.

المعرفية للتراث، في كتب ابن خلدون الأربعة، أو في اللغة المؤسساتية، والفكر الديني، وكون الله مركز الوجود، وكون السلطة السياسية مدار النشاط الفني، وكون الفن محاكاة للعالم الخارجي الحداثة انقطاع، لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر، والفكر العلماني، وكون الإنسان مركز الوجود وكون الشعب الخاضع للسلطة مدار النشاط الفني، وكون الداخل مصدر المعرفة اليقينية إذا كان ثمة معرفة يقينية، وكون الفن خلقا لواقع جديد.."[1]

[1]- النحوي عدنان علي رضا، **تقويم نظرية الحداثة** ، مجلة "فصول"، مصر، ع3، مجلد 4، 1984م، ص-ص.38-39.

خلاصة الفصل

وهكذا تعتبر الحداثة مشروع شامل يهدف إلى تطوير المجتمعات في كافة المجالات العلمية السياسية، الاقتصادية والاجتماعية سواء على المستوى الغربي أو العربي بحيث نجد هناك تقارب واضح بين هاتين الأخيرتين فنجد أن من خلال ما سبق الحداثة في العالم العربي مستورد من المستوردات الغربية نظرا للآليات التي انبثقت منها.

الفصل الثاني

رواد الحداثة ومنظروها في العالم العربي.

تمهيد.

إذا كان الانخراط في عالم الحداثة يقتضي الارتكاز على مرجعية فكرية حداثية، فإن الساحة الثقافية العربية عموما تشهد تناقضات عميقة، تثير الكـثير من الالتباس، أكثر مما تفرز رؤية واضحة مما يجعل التيارات المحافظة أكثر حظا في تصريف خطابها وترسيخ مواقعها وتتقمص دور الدفاع عن الـتراث وحتى بعض دعاة الحداثة الذي يوجدون في مواقع مريحة، يجدون في التقليد وسيلة لترسيخ الوجود، وتبقى الحداثة بالنسبة إليهم مجرد شعار للتباهي الثقافي، أو ربما للتمويه وهذا ما يمكن ملاحظته بصفة خاصة في المجال السياسي، ويشكل التعامل مع التراث محورا أساسيا في الجدل الفكري العربي حول الحداثة ويمكن تقسيم التيارات الفكرية في الوطـن العربي إلى مجموعتين كبيرتين، المجموعة الأولى ترفض الحداثة بشكل مطلق من منظور منغلق متزمت وتنظر إلى التراث بعقل جامد لا يقبل الاجتهاد وتفضل العيش في سراديب الماضي، لا تقبل الانخراط في العصر الحديث، أما المجموعة الثانية وهي محور دراستنا تتكون من المثقفين الذين يقولون بالحداثة، أو يصنفون ضمن خانة الحداثيين وهؤلاء ينطلقون من تصورات متباينة ومتناقضة أحيانا وأهم الجوانب التي تثير النقاش تتعلق بكيفية التعامل مع التراث ومن بين العدد الكبير من المفكرين والمثقفين الذين عالجوا هذا الموضوع، سنقتصر الإشارة فقط إلى نموذجين مختلفين في المغرب العربي وهما محمد عابد الجابري ومحمد أركون وعلى هذا نتساءل عن أهم ما استجلاه هذين الأخيرين حول مشروع الحداثة؟؟

المبحث الأول

الحداثة وأزمة الوعي عند محمد عابد الجابري

تعتبر الحداثة من أهم المشاريع الفكرية والثقافية التي احتلت مكانة في العالم الغربي والعربي بحيث اهتم بها العديد من المثقفين الأجانب والعرب، وشغلت حيزا كبيرا في الساحة العربية نتيجة التأثيرات الغربية، فعالجها المفكرين العرب وأعطو لها مجالا في دراساتهم كمحمد عابد الجابري نموذجا.

يرى محمد عابد الجابري[1] أن الذين يهتمون بالتراث وقضاياه يعتقدون أن الاهتمام لهذا الأخير يصرفهم عن الاهتمام بالحداثة ومتطلباتها لأنهم يرون أن التراث العربي الإسلامي هو ككل تراث مجرد بضاعة تنتمي إلى الماضي ويجب أن تبقى في الماضي لأن في نظرهم الاشتغال بالتراث والاهتمام الزائد به يتم على حساب الانشغال بالحداثة.

لذلك يقول:(ونحن نعتقد أن الموقف ينم عن عدم تقدير كاف للمشكل المطروح في الثقافة العربية، وذلك أن ما يميز الثقافة العربية منذ عصر التدوين إلى اليوم هو أن "الحركة" لا تتجسم في إنتاج الجديد، بل في إعادةإنتاج القديم، وقد تطورت عملية الإنتاج منذ القرن السابع إلى تكلس وتقوقع واجترار، فساد فيها ما سبق أن عبرنا عنه "بالفهم التراثي للتراث" وهو الفهم الذي مازال سائدا إلى اليوم. ومن هنا كان من متطلبات الحداثة، في نظرنا تجاوز هذا " الفهم التراثي للتراث" إلى فهم حداثي إلى رؤية عصرية له، فالحداثة في نظرنا لا تعني رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى نسميه "بالمعاصرة" أعني مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد العالمي[2].

[1]- **محمد عابد الجابري**: ولد في(27ديسمبر1936م وتوفي 03 ماي 2010م) هو أستاذ الفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط.أغنى المكتبة العربية بتأليفه30 كتابا تدور حول قضايا الفكر المعاصر ويعد **"**توطين الفكر العربي**"**أهمها وكان قد ترجم إلى عدة لغات، حصل على جائزة بغداد للثقافة العربية من اليونسكو عام1988م والجائزة المغربية للثقافة في تونس عام 1999م .يعتبر من أهم المفكرين المغربيين الذين تركوا بصمة واضحة في الأدب العربي المعاصر. من أهم كتبه: التراث والحداثة: دراسات ومناقشات نحن والتراث، بنية العقل العربي، إشكالية الفكر العربي المعاصر.....وغيرها من الكتب .

[2]- الجابري محمد عابد، **التراث والحداثة،دراسات ومناقشات**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، السنة1991م ص-ص.15-16.

ومن هنا يتبين أن الحداثة لا ترفض التراث ولا تحدث قطيعة مع الماضي بل تسعى إلى إيجاد طريقة للتعامل معه إلى مستوى يواكب العصر ألا وهو المعاصرة.

ويقول أيضا: (صحيح أن من شأن الحداثة أن تبحث عن مصداقية أطروحاتها في خطابها نفسه خطاب "المعاصرة" ولبس في خطاب " الأصالة" الذي يعنى بالدعوة إلى التمسك بالأصول واستلهامها، ولكن صحيح أيضا أن الحداثة في الفكر العربي المعاصر لم ترتفع بعد إلى هذا المستوى، فهي تستوحي أطروحاتها وتطلب المصداقية لخطابها من الحداثة الأوربية التي تتخذها أصولا لها. وحتى إذا سلمنا بأن الحداثة الأوربية هذه اليوم تمثل حداثة "عالمية" فإن مجرلانتظامها في التاريخ الثقافي ولو على شكل التمرد عليه، يجعلها حداثة لا تستطيع الدخول في حوار نقدي تمردي مع معطيات الثقافة العربية لكونها لا تنتظم في تاريخها –إنها إذ تقع خارجها وخارج تاريخها لا تستطيع أن تحاورها حوارا يحرك فيها الحركة من داخلها، إنها تهاجمها من خا رجها مما يجعل رد الفعل الحتمي هو الانغلاق والنكوص، إذن فطريق الحداثة عندنا يجب في نظرنا أن ينطلق من الانتظام النقدي في الثقافة العربية نفسها وذلك بهدف تحريك التغيير فيها من الداخل .لذلك كانت الحداثة بهذا الاعتبار تعني أولا وقبل كل شيء حداثة المنهج وحداثة الرؤية والهدف تحرير تصورنا للتراث من البطانة الإيديولوجية والوجدانية التي تضفي عليه، داخل وعينا، طابع العام والمطلق وتنزع عنه طابع النسبية والتاريخية[1].

إن قضايا التراث والفكر المعاصر، من أبرز القضايا التي تتطلب معالجتها وعيا إيديولوجيا عميقا ومنهجية علمية بسيطة والطرح الإيديولوجي ضروري لفهمها والاستفادة منها، لكن شرط التزام المنهجية العلمية بكل ما تفرضه من موضوعية وترو في إصدار الأحكام واتخاذ المواقف.

إن ثنائية الانبهار بالعقل الغربي ومنجزاته، واحتقار العقل العربي تقع في قلب الشرخ الثقافي الذي يعيشه الإنسان الغربي بدرجات لا تتفاوت كثيرا من جماعة عربية إلى جماعة عربية أخرى

[1]- المصدر نفسه، ص16.

وبدلا من منطقة وسط يأخذ المثقف العربي ما يتناسب مع ثقافته العربية وتراثه الطويل، نجد الغالبية تعيش الثنائية بكل تناقضاتها وفصامها.

ومن هنا يقول محمد عابد الجابري (من هنا خصوصية الحداثة عندنا،أعني دورها الخاص في الثقافة العربية المعاصرة، الدور الذي يجعل منها بحق "حداثة عربية" والواقع أنه ليست هناك حداثة مطلقة، كلية وعالمية، وإنما هناك حداثات تختلف من وقت لآخر وبعبارة أخرى الحداثة ظاهرة تاريخية وهي ككل الظواهر التاريخية مشروطة بظروفها محدودة بحدود زمنية ترسمها السيرورة على خط التطور فهي تختلف إذن من مكان لآخر من تجربة تاريخية لأخرى، الحداثة في أوربا غيرها في الصين، غيرها في اليابان... في أوربا يتحدثون اليوم عن "ما بعد الحداثة" باعتبار أن الحداثة ظاهرة انتهت مع نهاية القرن التاسع عشر بوصفها مرحلة تاريخية قامت في أعقاب "عصر الأنوار" "القرن الثامن عشر"، هذا العصر الذي جاء هو نفسه في أعقاب عصر النهضة " القرن السادس عشر". أما العالم العربي فالوضع يختلف: إن "النهضة" و"الأنوار" و"الحداثة" لا تشكل عندنا مراحل متعاقبة يتجاوز اللاحق منها السابق، بل هي عندنا متداخلة متشابكة متزامنة ضمن المرحلة المعاصرة التي تمتد بداياتها إلى ما يزيد على مائة عام وبالتالي فنحن عندما نتحدث عن " الحداثة" فيجب ألا نفهم منها ما يفهمه أدباء ومفكرو أوروبا، أعني أنّها مرحلة تجاوزت مرحلة الأنوار ومرحلة النهضة، التي تقوم أساسا على الإحياء، إحياء التراثوالانتظام، إن الحداثة عندنا، كما تحدد في إطار وضعيتنا الراهنة، هي النهضة[1] والأنوار وتجاوزهما معا والعمود الفقري الذي يجب أن تنتظم فيه جميع مظاهرها هو العقلانية[2] والديمقراطية[3]، والعقلانية والديمقراطية ليستا بضاعة تستورد بل هما ممارسة حسب قواعد ونحن نعتقد أنه ما لم نمارس العقلانية في تراثنا وما

[1]- **النهضة:** هي إصلاح حديث ووضع للتعبير عن واقع معين، هو انتقال أمة أو شعب أو فرد من حال إلى حال أفضل.
[2]- **العقلانية:** تطلق على أي فكر يحتكم إلى الإستنتاج أو المنطق، كمصدر للمعرفة أو التفسير.
[3]- **الديمقراطية:** نظام سياسي اجتماعي اقتصادي يقوم على ثلاثة أركان : حقوق الإنسان في الحرية والمساواة، ودولة المؤسسات وتداول السلطة.

لم نفضح أصول الاستبداد ومظاهره في هذا التراث فإننا لن ننجح في تأسيس حداثة خاصة بنا حداثة ننخرط بها ومن خلالها في الحداثة المعاصرة "العالمية" كفاعلين وليس كمجرد منفعلين[1].)

هذا يعني أنه لا توجد حداثة موحدة فالحداثة لا تقتصر على زمن معين ومكان معين فهي تختلف باختلاف الأزمنة والأماكن.والحداثة العربية تعمل على تجاوز عاملي النهضة والأنوار وتعتمد على العقلانية والديمقراطية اللذان هما أساس بنائها وجعلها حداثة مستقلة بذاتها ولذاتها.

تأصيل قيم الحداثة.

إن ما حصل في أوروبا ذاتها، هو أن قضايا حقوق الإنسان والحريات الديمقراطية والروح العقلانية والنزعة النقدية... الخ. وغيرها من القضايا التي تشكل قيم الحداثة وقوام التحديث لم تترسخ ولم تتوطد في النظام الثقافي الأوروبي نفسه إلا بعد أن تم تأصيلها فيه، أي بعد أن ربطت بـ"أصول" كُشِف عنها داخل هذا النظام نفسه أو وضعت فيه وضعاً، ثم نقلت إلى المدرسة، عن طريق المعلم والكتاب، لتصبح جزءاً من نظام التعليم بما فيه الامتحانات. وكم سنكون مخطئين ونحن كذلك منذ زمان– إذا نحن اعتقدنا أنه من الممكن غرس قيم الحداثة في مجتمعنا العربي بمجرد نقلها إليه أو بالعمل على التوفيق بينها وبين القيم السائدة عندنا. إن الجديد الذي ينبت في مجتمع معين لا يمكن نقله ناضجا إلى مجتمع آخر مختلف،إذا كان الأمر يتعلق بالأفكار والقيم بل لابد من العمل على استنباته فيه وتبينته مع المعطيات الخاصة بالمجتمع المنقول إليه[2]

ذلك ما نقصده بـ"التأصيل الثقافي". إن نقل قيم الحداثة وعناصر التحديث إلى المجتمع العربي وهو العملية التي بدأت منذ قرن أو يزيد– نقلاً ميكانيكياً بدون تأصيل، جعل وجودها وحضورها فيه يعاني مما نعرفه من نكوص وانتكاس، بل إن عدم تبيئة تلك القيم في نظامنا الثقافي، وبالخصوص

[1]- الجابري محمد عابد، **التراث والحداثة: دراسات ومناقشات**، مرجع سابق، ص-ص16-17.

[2]- www.arabphilosophers.com

في الجانب التربوي منه، هو من العوامل الأساسية في الانشطار الذي يعبر عن نفسه من خلال الازدواجية المترسخة في مجتمعنا وثقافتنا... والقضية الثقافية الأساسية في مجتمعنا هي هذه الازدواجية نفسها، التي يعاد إنتاجها باستمرار: كيف نتجاوزها؟ إن القضية مرهونة فعلاً بالتطور الاقتصادي الاجتماعي، ولكن مع ذلك لها بعد ثقافي خاص في مجتمعنا العربي. ونستطيع إدراك خصوصية هذا البعد إذا نحن قارنا بين ثقل الثقافي عندنا (عقيدة وشريعة ونظام فكر وتقاليد وعادات) وبين ثقله في مجتمعات أخرى كالمجتمعات الأوروبية. وليس صحيحاً أن "الثقافي" عندنا مجرد عنصر في بنية فوقية تابعة للقاعدة المادية للمجتمع، بل الصحيح أن يقال إنه عنصر في بنية كلية يتبادل فيها "الفوقي" و"التحتي" المواقع، أو يتداخلان بصورة تجعل من كل منهما فاعلاً ومنفعلاً في نفس الوقت، وهذا ما يزيد من استقلالية الثقافي، يجعل التجديد فيه شرطا للتجديد في ميادين أخرى.

لنأخذ كمثال مسألة حقوق الإنسان التي تستأثر اليوم بالاهتمام على نطاق عالمي، وهي مسألة ثقافية قبل كل شيء، بل هي نموذج لاستقلال "الثقافي" عن الاقتصادي والاجتماعي، من الناحية المبدئية على الأقل، إذ لا أحد يرهن حق الفرد في التمتع بـ"حقوق الإنسان"، في صيغتها المتعارف عليها اليوم، بوضعه الاقتصادي أو الاجتماعي! ومن هنا عالمية تلك الحقوق. فعالمية حقوق الإنسان لا تصطدم ولا تتناقض لا مع الوضع الاقتصادي ولا مع الوضع الاجتماعي ولكنها بالمقابل تصطدم بالخصوصية الثقافية عندما ينظر إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه نتاج الحضارة الغربية وحدها. والتأصيل الثقافي لقيم الحداثة المعاصرة بالنسبة لنا نحن العرب يقتضي في هذا المجال إبراز عالمية حقوق الإنسان في كل من الثقافة الغربية والثقافة العربية الإسلامية، أعني كونها تقوم في الثقافتين على أسس فلسفية واحدة

أما الاختلافات فهي لا تعبر عن "ثوابت ثقافية"، وإنما ترجع إلى اختلاف المعطيات الظرفية وأما المقاصد والأهداف فهي واحدة والرجوع إلى الظرفي أمر ضروري وأكيد لفهم المعقولية التي تؤسس ذلك الاختلاف، أي ما يسميه فقهاء الإسلام بالحكمة ويقصدون الأغراض التي توخاها الشارع، أو قد يكون توخاها، من نوع الحكم الذي أصدره في هذه القضية الظرفية أو تلك.

وإذن فمعقولية الحكم، بهذا المعنى، أمر ضروري أيضاً لتجنب الانزلاق إلى ذلك الخطأ المنهجي الخطير الذي يقع فيه كثير من الناس حين يحاكمون أمور الماضي بمقاييس الحاضر ومشاغله، أو حين يقرؤون الماضي بمعطيات الحاضر الراهن، أو بما هو مأمول في المستقبل.

إن حقوق الإنسان كما قررها الإسلام زمن النبوة والصحابة لا يجوز الحكم عليهطيغة ومضموناً،بمقاييس حقوق الإنسان المعاصر، إنسان القرن العشرين: فلتلك معقوليتها ولهذه معقوليتها. وما نعنيه هنا بـ"التأصيل الثقافي" ليس التوفيق بين المعقوليتين ولا تضمين الواحدة منهما في الأخرى، كلا إن ما نعنيه بالتأصيل الثقافي لحقوق الإنسان في فكرنا العربي المعاصر هو إيقاظ الوعي بعالمية حقوق الإنسان داخل ثقافتنا، وذلك بإبراز عالمية الأسس النظرية التي تقوم عليها والتي لا تختلف جوهرياً عن الأسس الفلسفية التي قامت عليها حقوق الإنسان في الثقافة الغربية. ومن هنا يبرز الطابع العالمي- الشمولي الكلي، لحقوق الإنسان من داخل الخصوصية الثقافية نفسها، ويتأكد مرة أخرى أن الخصوصية والعالمية ليستا على طرفي نقيض، بل بالعكس خاص" شيء ما من "العام", كما أن "العام" ليس"هما متداخلتان متضايفتان: في كل نوع من أنواع "كذلك إلا لكونه يضم ما هو "عام" الخاص".[1]

[1] -المرجع نفسه.

وغني عن البيان القول إن التأصيل الثقافي لقيم الحداثة في فكرنا لن يمر بدون نقاش أو اعتراض ولكن النقاش والاعتراض في هذا المجال هو نفسه طريق التأصيل. إن النقاش والاختلاف حول التأصيل هما الطريق السلمي الديمقراطي لتأسيس الأصل.

وهكذا خلاصة لما سبق أن الحداثة العربية، لا ترفض التراث ولا تحدث قطيعة معه بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التعامل معه إلى مستوى المعاصرة ومواكبة التقدم الحضاري.

المبحث الثاني

الحداثة عند محمد أركون

بعد أن نضج فكر أركون وبلغ ذروته، فقد ارتأى أن ينقض على أخطر مشكلة تواجه العرب والمسلمين عموما ألا وهي مشكلة الحداثة،إنها مشكلة دخول العصر بكل ما للكلمة من معنى وبكل ما يتضمنه ذلك من إشكاليات وعقبات. فمحمد أركون ربط الحداثة بالإسلام باعتبار أن الإسلام حركة حداثية .

حيث يقول الحداثي محمد أركون[1]: (في الواقع أن الإسلام نفسه كان يمثل حداثة كل الحركات التاريخية الكبرى، كانت تمثل الحداثة في عصرها أما الآن فمما لا ريب فيه أن الإسلام قد أصبح يمثل نوعا من التراث، من التقليد، من تراكم المعارف وتراكم المواقف الثقافية المكرّرة ...ولا يمكن لأي شخص عاقل أن يقول: إن الإسلام قد أصبح يمثل حاليا الحداثة...أما في لحظة انبثاقه التاريخية فقد كان الإسلام يمثل لحظة حداثة بلا شك، أي لحظة تغيير وتحريك لعجلة التأريخ فالحداثة تعني بثا حيويا في التاريخ، إنها تعني الحركةوالانفجار والانطلاق هذا شيء أساسي جدا لكي يفهم جوهر الحداثة وماهيته وبالتالي فالإسلام في زمن النبي ولحظة انبثاق الخطاب القرآني كان يمثل تغيرا بل وتغيرا جذريا بالقياس إلى ما قبله وكان يمثل حركة تاريخية مندفعة بكل قوة وانطلاق وعلى الأصل كافة ولكن بعد أن ترسخت الدول الإسلامية فإن التغير استمر لبعض الوقت ... ثم تشكل تدريجيا فكر ثابت تحول بالتدريج إلى أرثوذكسية [2] ... أقصد أنه تحول من طاقة تغييرية إنبثاقية إلى تصور ثابت وثبوته الحقيقة إلى تصور ملجوم من قبل اختصاصيين معروفين بهذا العمل هم الفقهاء و العلماء وحراس الأرثوذكسية وهم الذين يدعوهم عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر لموظفي التقديس أو تسيير عن أمور المقدس والمقدسات، إنهم موظفون مثلهم مثل أي موظف بيروقراطي[3] آخر)[4].

---

[1]- **محمد أركون**: (1928-2010) مفكر جزائري/فرنسي له توجه مابعد حداثي(وراء حداثي) ينقد العقل الإسلامي وفكر الحداثة اعتمادا على الأنثربولوجيا التاريخية ويسعى إلى تأسيس علم "الإسلاميات التطبيقية".

[2]- **أرثوذكسية** : معنى كلمة أرثوذ كسية هي الرأي القويم أو الإيمان المستقيم وهي أحد المذاهب المسيحية.

[3]- **بيروقراطي**: مشتق من كلمة بيروقراطية هي مفهوم يشير تطبيق القوانين بالقوة في المجتمعات المنظمة.

[4]- بن أحمد العلي محمد بن عبد العزيز،**الحداثة في العالم العربي، دراسة عقدية**، مرجع سابق، ص 160.

وهذا يعني أن الإسلام كان يمثل حركة حداثية لحظة انبثاقه أما الآن فأصبح موروثا قديما يمثل نوعا من التراث.

ويقول محمد أركون عن الحداثة والإسلام: (مفهومان محوريان يفترض إعادة الإنكباب عليهما للخروج من دائرة الغموض الشائع في استخدامات جدالية وإيديولوجية تنحو إلى إبراز التضاد بين قوتين متعارضتين خارج أي تحليل سوسيولوجي أو أنتربولوجي أو لاهوتي أوفلسفي[1].)

الحداثة أصبحت تكتسح كل المجالات ولا أحد يمكنه أن يوقفها، وأضحت معها في اللحظة الراهنة تحديا، يطرح نفسه على أصعدة متباينة، الفكرية والسياسية، الاقتصادية والاجتماعية، مما ظهرت معه تيارات مختلفة في العالم العربي والإسلامي، بوجهات نظر متضاربة، كل ينشد الحداثة على منواله الخاص، حيث توزعت هذه التيارات بين ما هو سلفي يرى أن الحداثة لا تكون إلا بالاعتماد على التراث الإسلامي وتيار عصري ليبرالي يرى أن الارتباط بالحداثة الأوروبية هو الطريق الوحيد للتقدم فيما حاول التيار الأخير التوفيق بين الاتجاهين.

إن فكرة الحداثة، تتسم بالنسبية فيمل يتعلق بالحقيقة وبعامل تطورها المستمر، فبالنسبة إلى الحداثة لا يوجد أي شيء سواء كان مكتوبا أو منطوقا لا يحق ولا يمكن للإنسان أن لا يعيد صياغته وتطويره أو التشكيك في صحته. وهكذا يجد المسلمون أنفسهم بين موقفين : موقف الحقيقة الأزلية الثابتة الموجودة في القرآن الكريم من ناحية وموقف الحداثة التي ترى أن جميع الأمور قابلة لإعادة الصياغة والتطور الدائم من ناحية أخرى، وهنا يطرح السؤال التالي نفسه، هل يكمن الحل في تحديث الإسلام أم أسلمة الحداثة ؟ وهنا لمحمد أركون رأي في هذا الموضوع.

حيث يقول:(تشكلت طبقة اجتماعية مهمتها تسيير أمور الشعائر والطقوس والعبادات والتقديس. وبدءا من تلك اللحظة تشكلت فيها تلك الطبقة راحت الأرثوذكسية تتبلور وترسخ أقدامها

[1]- سبيلا محمد، بنعبد العالي عبد السلام،**الحداثة وانتقاداتها،نقد الحداثة من منظورعربي- إسلامي** ،دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، السنة 2006م، ص-ص51-52.

تدريجيا وتقسم فضاء المعرفة في مجال الإسلام إلى شطرين: شطر تمكن معرفته/وشطر تمنع معرفته منعا باتا. وهكذا تنطلق الأمور وتنسد، ويصل الأمر ببعضهم اليوم إلى حد المطالبة "بأسلمة" الحداثة،إنهم يدعون إلى أسلمة الحداثة وأسلمة الثقافة وأسلمة الحضارة المادية التي تغزونا من جهة الغرب الملحد وعندما نسألهم : ولكن كيف نؤسلم ذلك،وباسم من أو باسم ماذا؟ يجيبون فورا: الأمر واضح باسم الإسلام الصحيح المعروف للجميع، أي باسم الأرثوذكسية! هذا يعني أن الإسلام معروف من قبل الجميع وليس بحاجة إلى دراسة نقدية داخلية لمعرفة كيفية تشكله ومنشئه واشتغاله في التاريخ عبر العصور. هذا ما يقوله الخطاب الإيديولوجي الإسلامي الشائع حاليا .هذا ليس قولي ولا رأي . وينبغي أن ندرسه بكل موضوعية لأنه يمثل اعتقاد عدد كبير من البشر في المجتمعات العربية والإسلامية الحالية. ولكن هل هو صحيح، عقليا وفكريا بقدر ما هو قوي سوسيولوجيا أو عدديا ؟ هذه مسألة أخرى)[1].

بمعنى أسلمة الحداثة مرهونة على الإسلام نظرا لمكانته التي تجعله ليس بحاجة إلى دراسة نقدية ولأنه يمثل اعتقاد أغلبية المجتمعات العربية والإسلامية.

ويقول أيضا:(...أعيد طرح السؤال السابق من جديد: من أين نبدأ موضوعنا الأساسي، من الإسلام أم من الحداثة؟ سوف أجيب قائلا بأنه ليس لنا خيار. سوف نبدأ من الحداثة. فنحن غاطسون ومنغمسون في المناخ الذي خلقته الحداثة. نحن فيه الآن، نحن لسنا خارجه كما يتوهم بعضهم. بالطبع هناك درجات من الانغماس في الحداثة، فالبعض منغمس أكثر من البعض الآخر. ولكن ينبغي أن نميز هنا بين نوعين من الانغماس في الحداثة: الانغماس في الحضارة المادية والحداثة المادية الاستهلاكية/ ثم الانغماس في الحداثة الفكرية والعقلية. فهذان شيئان مختلفان تماما أضرب على ذلك المثل التالي: عندما استقلت الجزائر عام1962 انخرطت في أحد جوانب الحداثة وليس

[1]- أركون محمد، تر هاشم صالح،**الإسلام والحداثة**، مرجع سابق، ص-ص84-85.

في الحداثة كلها ...هذا يعني أنها اكتفت بالحداثة المادية وبطريقة الاستيراد الجاهز. هذه ليست حداثة.... فالجزائر راحت تستورد الحداثة جاهزة من أوروبا...وهذه هي نتائج الحداثة المادية لا الحداثة بحد ذاتها... فهذه الآلات والمخترعات التي قلبت وجه الطبيعة والكون والتي تستوردها بلدان النفط خلال ثلاثة أيام عن طريق دفع ثمنها، كلفت البشرية مدة ثلاثمائة سنة من البحث والجهد والتجريب! وكان يكمن وراءها موقف جديد للروح أمام مشكلة المعرفة. كان يكمن وراءها رجال مثل ديكارت وفرانسيس بيكون...وغيرهم. كانت تكمن وراءها كل الروح الجديدة التي راحت تنفصل تدريجيا عن الرؤية القديمة للعالم....أما نحن فنتلقاها مستوردة جاهزة،ولقمة سائغة ونتوهم أننا شاركنا في صنع الحداثة، أننا دخلنا عصر الحداثة[1].

وهذا يعني أننا جزءا من الحداثة وليس لنا طرف في تشكيلها وبنائها، فنحن نجدها جاهزة للإستلام والعمل بها .

كما يقول: (... أما اذا ذهبتم إلى منطقة الخليج والجزيرة العربية استطعتم أن تشاهدوا أحدث أنواع الحداثة المادية فالجامعات تمتلك الآلات الأكثر حداثة (أجهزة المعلوماتية مثلا)ولكن هل هذه هي الحداثة العقلية والفكرية؟ بالطبع لا فنحن لا نجد أي مناهج حديثة لنقد الوثائق ودراستها على الطريقة التاريخية المعروفة. بل نجد هيمنة الإيديولوجيا[2] وسيطرة الإسلام الأرثوذكسي على الآراء والمناهج والعقول بشكل كامل. وهنا نلاحظ طلاقا فظيعا ومخيفا بين الحداثة المادية المستوردة بسهولة...وبين الحداثة العقلية شبه المنعدمة.إذا عندما أقول بأننا غاطسون في الحداثة فإنني أقصد

[1]- المرجع نفسه، ص-ص85-86.

[2]- **الإيديولوجيا:** هي علم الأفكار، بمعنى هي منظومة من الأفكار المرتبطة اجتماعيا بمجموعة اقتصادية أو سياسية أو عرقية أو غيرها .

الحداثة المادية بالطبع وبنسب غير متساوية بالطبع نظرا للتفاوتاتالاجتماعية والطبقية الزائدة عن الحد.)[1].

فالحداثة هنا تقتصر على الجانب المادي أكثر من الجانب العقلي باعتبار الحداثة المادية العامل المؤثر بشكل واضح في المجتمعات العربية الإسلامية.

ومن هنا يتبادر على ذهن أي دارس أن محمد أركون ربط موضوع الحداثة في دراساته ارتباطا وثيقا بالإسلام، من خلال ما قدمه من إشكاليات ومحاور حول الموضوع.

[1]- أركون محمد، تر، هاشم صالح،**الإسلام والحداثة**، ص.87.

خلاصة الفصل

الحداثة العربية من أهم المشاريع التي دخلت على المجتمعات العربية الإسلامية وشملت مختلف التغيرات الفلسفية واللاهوتية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية جلبت اهتمام مفكري العرب من بينهم "محمد عابد الجابري" الذي ربطها بالتراث ومحمد أركون الذي ربطها بالإسلام بحيث هذين الأخيرين جعلا من الحداثة موضوعا عربيا يستحق الدراسة والتطلع على مختلف المستجدات التي تطرأ عليها وأهم التأثيرات التي تنقشها إن صح التعبير على الساحة العربية.

الفصل الثالث

الحداثة وقيم المجتمع: بين روح العصر ومتطلبات المستقبل.

تمهيد.

تعتبر الحداثة العربية، بحاجة إلى التأصيل لكي نحافظ على ديننا وهويتنا وأخلاقنا وثوابتنا في كل عصر وزمان، وبحاجة لكي نواكب الزمن، ونتواصل مع العالم، ونفهم منطق العصر، ونجاري تطور العلم. فنحن بحاجة إلى بناء حداثة مستقلة تنطلق من فهم الحداثة الأوروبية ونقدها، وتعبر عن رؤيتنا للتقدم الذي نريده، وللمدنية التي نتطلع إليها، فما هي أثار الحداثة الأوربية على العالم الإسلامي؟ وما هي الأساليب الممكنة لمقاومتها من أجل بناء حداثة مستقلة؟

المبحث الأول

أثار الحداثة في العالم الإسلامي

من خلال الحديث والبحث عن الحداثة في العالم العربي تبين أنها بدأت بما يقارب قرنا من الزمن تقريبا، وبما أنها اتجاه ثوري كثف جهوده خلال هذه المدة في نشر دعاواه التمردية على تراث المسلمين وواقعهم عبر وسائل كثيرة ومركزة دون رادع، فإن هذه المدة كافية لظهور أثار سيئة لها في العالم الإسلامي،ومن خلال كل هذا التمهيد فهناك أثار كثيرة للحداثة من بينها:

الأثر الأول: (إشاعة الفوضى العقدية والثقافية في العالم الإسلامي، بين كثير من القارئين لأن الصحف والمجلات والكتب التي تخاطب الشباب كثير منها منطلقاته حداثية، ثائرة على العقيدة القومية، وبخاصة أن تلك المقالات الحداثية تدغدغ عواطف الشباب وأدعياء الثقافة والمبتدئين بعباراتها " الأدبية" و "الإبداعية"، المبطنة بتمرد على المعتقد الصحيح والقيم النبيلة[1])

بالفعل للكتب والمجلات والصحف دور كبير في التأثير على الشباب لأن القراءة تلعب دورا كبيرا في التأثير على عقول الشباب لأنها عقول ناضجة تستطيع أن تفهم إذا ما قدمت لها المعرفة تقديما يستثيرها وخاصة الطبقة المثقفة لأنها تشكل المكانة الهامة في المجتمع.

الأثر الثاني: (إيجاد طبقة معزولة عن المجتمع سياسيا وعقديا، فالنظام المطبق في البلاد لا يعجبها بل كما هو المنهج الحداثي – ترى ضرورة رفضه والثورة عليه. والعقيدة الموروثة والشريعة المألوفة لا تخضع لها، ولا ترضى بها، بل لابد من التمرد عليها وتخطيها والواقع كله رجعي متخلف، في سياسته وعقيدته وأخلاقه وأعرافه، يجب تجاوزه بعد تهديمه.[2])

بطبيعة الحال الحداثة ترفض كل ماهو موروث قديم فلذلك أي نظام أو منهج أو عادات وتقاليد تحاول القضاء عليها والإتيان بالمستجدات التي تلائم طبيعتها .

[1]- بن أحمد العلي محمد بن عبد العزيز،**الحداثة في العالم العربي،" دراسة عقدية"**، المجلد الثالث، السنة 1414هـ، ص.1547.
[2]- المرجع نفسه، ص.1550.

الأثر الثالث:(انخداع بعض المنتسبين للدعوة الإسلامية، من العقلانيين وأمثالهم، ببعض دعاوى الحداثة المتمردة على النصوص الشرعية والالتزام بها، وتقديمها على الأهواء وأراء العقول ولاشك أن للحداثيين إفادة عظمى من العقلانيين المنتمين للإسلام.[1])

وهذا من أخطر الآثار التي أحدثتها الحداثة بحيث سمحت بالتمرد على النصوص الشرعية ومن طرف المنتسبين للدعوة الإسلامية فهذا يحدث أثرا عميقا وخطرا على الشريعة الإسلامية ويشكل فارقا كبيرا في المجتمعات العربية الإسلامية.

الأثر الرابع: (الجرأة على نقد السلطات الحاكمة في العالم الإسلامي، والقدح في حكام المسلمين وبخاصة من يحكم شيئا من الإسلام[2]).

إن من طبيعة الحداثيين؛ الثورة على الأنظمة الحاكمة وإلغاء السلطة سواء كانت سلطة نصوصية –أي نصوص الكتاب والسنة– أم سلطة العلماء، أم السلطة السياسية الحاكمة فهي تحاول القضاء على السائد والمألوف واستبداله بكل ما هو حداثي ولكن هذا إجحاف في حق الموروثات والتراث والعادات والتقاليد وخاصة الموروث الإسلامي.

الأثر الخامس: (ومن أثار الحداثة تجرؤ بعض النساء على الأحكام الشرعية بنقدها والخروج عليها، وحجتهن في ذلك أقوال الحداثيين وشبههم، فأصبحن نقرأ ونسمع من ينادين برفض الحجاب، لأنه رمز العهود المظلمة، والعصور المظلمة، ويطالبن بالحرية والاختلاط، لأنهما علامة التقدم والتحضر، وأن الفكر الحديث يوجب التمرد على العادات والتقاليد القديمة، الموروثة عن أصحاب الكتب الصفراء[3]).

---

[1]- المرجع السابق، ص1552.

[2]- بن أحمد العلي محمد بن عبد العزيز،**الحداثة في العالم العربي، "دراسة عقدية"**،مرجع سابق، ص1553.

[3]- المرجع نفسه، ص1557.

وهذا ثاني أخطر أحداث الحداثة لأنه لا يمّت للشريعة الإسلامية بأي صلة فهو بهذا يحاول القضاء على ما تقوله الشريعة الإسلامية نهائيا فهذا خارج عن نطاق الشريعة والدين الإسلامي الصحيح وبهذا تصبح الحداثة تشكل خطرا كبيرا على العالم العربي الإسلامي وعائقا في نشر تعاليم الدين الصحيحة والمتفق عليها.

الأثر السادس: (من أثار الحداثة إعلان شأن الفرق الباطنية [1] والفلسفية والصوفية، وذلك لأن الحداثيين يبذلون وسعهم في دراسة تاريخ المسلمين وإبراز تلك الفرق والفلسفات المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، وإعلان شأنها بوصفها ظواهر "حداثية" تمردت على الموروث والسائد والمألوف في العقيدة والشريعة.)[2]

وهذا أيضا أثر خطير بدوره، بحيث لهذه الفرق دور كبير في مساندة الحداثيين في أفكارهم ومناهجهم لأنها فرق تخالف أهل السنة والجماعة،فهي تساعد على التمرد على الموروث والمألوف وهذا ما يريده الحداثيين ويسعون إليه.

الأثر السابع : (ومن أثار الحداثة تغلغل كثير من الحداثيين في وسائل التربية والتعليم والإعلام في العالم الإسلامي، وبالتالي يوجهون الناس حسب مناهجهم الحداثية وأفكارهم، ومن ثم يبعدون رأي كل ناقد لهم، وبخاصة من العلماء وطلبة العلم، من أصحاب الفكر القويم ، والعقيدة الإسلامية وإن أحرجوا، فتحوا بابا ضيقا لبعض الفتاوى والمقالات القصيرة، التي لا تنقدهم، وفي أيام محددة أيضا، هذا ما قد يوجد في بعض الوسائل، وهناك من لايسمح للصوت الإسلامي أبدا)[3].

---

[1]- **الفرق الباطنية**: الباطنية لقب اصطلاحي، تندرج تحته اتجاهات لطوائف وفرق مختلفة، والقاسم المشترك فيما بينها تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطل تأويلا يذهب مذاهب شتى، قد يصل بالمذاهب الباطنية، التي تعمل التأويل في النص إلى حد التناقض فيما بينها ، بحيث تصبح الفرق الباطنية خارجة عن ملة الإسلام بل فرقا من فرق الكفر.

[2]- المرجع السابق، ص-ص1559-1560.

[3]- بن أحمد العلي محمد بن عبد العزيز،**الحداثة في العالم العربي، "دراسة عقدية"**، مرجع سابق، ص1560.

وهذا أثر له خطورة على العالم الإسلامي، وخاصة أنه في مجال التربية والتعليم والإعلام بحيث لهذه المجالات أثر كبير على الناس وخاصة مجال التربية والتعليم بحيث يربون الأجيال على الأفكار الحداثية وترسيخها.

الأثر الثامن: (برزت في الصحف والمجلات واللقاءات، الكلمات العامية والأجنبية، والألفاظ الموغلة في الرمزية والغموض، وكثر الخوض فيها، وبالتالي تجرأ الناس على اللغة العربية فأصبحنا نقرأ ونسمع من يطالب بتغيير قواعدها...الخ)[1].

إن محاولة القضاء على اللغة العربية وتغيير قواعدها فيها خطر كبير على العالم الإسلامي فاللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة المجتمع العربي الإسلامي فالقضاء عليها دليل على محو الشخصية العربية الإسلامية.

الأثر التاسع: (من أثار انتشار المفاهيم الحداثية في العالم الإسلامي، أن الحداثة أصبحت ثوبا يتستر به كل قادح في الدين وبخاصة أصحاب الاتجاهات المشبوهة، والمنتمين إلى الأحزاب الكافرة، كالماركسية[2] والعلمانية والبعثية[3]، والاتجاهات الباطنية ونحو ذلك. وبخاصة في الدول التي لا يستطعون فيها التصريح بمذاهبهم وأحزابهم الكافرة، أو المخالفة لسياسة تلك الدول فيلجأون إلى الحداثة شعارا يتسترون خلفه، وعلى سبيل المثال فإن كثيرا من الحداثيين ينتمون إلى الفكر الماركسي، ولبعضهم انتماءات حزبية على مستوى كبير، إلا أنهم لا يصرحون بهذا إلا لخاصتهم أما أمام الناس، فإنهم يعلنون الحداثة التي تتفق في كثير من مبادئها مع الماركسية حتى أصبح

[1]- المرجع نفسه،ص- ص1562-1563.

[2]- **الماركسية**: مصطلح يدخل في علم الإجتماع والإقتصاد السياسي والفلسفة، سميت بالماركسية نسبة لمنّظر الماركسية الأول كارل ماركس وهو فيلسوف ألماني وعالم اقتصاد وصحفي ثوري، أسس النظرية الشيوعية بالإشتراك مع فريدريك إنجلز.

[3]- **البعثية**: هي حزب قومي علماني، يدعو إلى الإنقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية لصهرها وتحويلها إلى التوجه الإشتراكي .

الانتساب إلى الحداثة أسهل طريق لنقد مصادر الدين وما صدر عنها، باسم التحديث أو التجديد معا)[1]

وهذا أثر آخر له خطورته أيضا بحيث أصبحت الحداثة سترا على الاتجاهات المشبوهة التي تشوه صورة الإسلام، وهذا فعلا أثر خطير على العالم العربي وخاصة الإسلامي بحيث لابد من مواجهته والقضاء عليه.

وخلاصة لما سبق نستخلص أن للحداثة مخاطر كثيرة على العالم العربي وعلى الدين الإسلامي في عقيدته وعبادته وأخلاقه وشريعته ولغته وأهله وحضارته وبلاده، فهي تحاول بكل طريقة من الطرق القضاء على ما يعترض طريقها ومحاولة فرض نظريتها ومستجداتها قدر المستطاع.

[1]- المرجع السابق، ص1564.

المبحث الثاني

الحداثة وأساليب المقاومة

مما سبق تبين لنا خطورة الفكر الحداثي في العالم الإسلامي و أن له آثارا عظيمة على دين المسلمين وعلى عقائدهم وبالتالي لا بد من السعي الجاد لمقاومة الحداثة بالعمل العقدي الوقائي من شرورها وبالعلاج الناجح لصدّها وتطهير بلاد المسلمين منها بكافة الوسائل المشروعة ، ومن هذه الوسائل

أولا: (تربية الناس وبخاصة الناشئة من الشباب، ذكورا وإناثا على المنهج العقدي القويم، في التسليم لمصادر التلقي دون مجادلة، وغرس منهج أهل السنة والجماعة في نفوسهم، في جميع أمور الدين، أصوله وفروعه، لتحصيلهم من كل نحلة وافدة، أو فكر مخالف[1])

وبالطبع هذا أسلوب منطقي وحكيم بحيث للتربية دور كبير في توعية الشباب وترسيخ المبادئ والقيم التي تجعل منهم نموذجا مشرفا للأمة العربية والإسلامية والحفاظ على مبادئ الشريعة والدين القويم.

ثانيا: (مناصحة ولاة الأمور المسلمين، والمسؤولين في العالم الإسلامي بالحكمة والموعظة الحسنة وبكل الطرق المشروعة، وتذكيرهم بخطر الحداثيين على الأمن والإستقرار، إذ أن من أصول الحداثة رفض أي سلطة حاكمة، وبخاصة إن حكمت بالإسلام، بل إنهم يدعون إلى الثورة على كل سياسة ليست حداثية، لهذا فإنهم لا يؤيدون الحكومات القائمة اليوم في العالم الإسلامي وربما استثنى كثير منهم الحكومة البعثية في العراق، لتوافقها مع بعض مواقف الحداثة ومبادئها الثورية فلابد من تذكير ولاة أمور المسلمين بأخطار الحداثة على الأمن وفضح أهدافها المستقبلية التي تسعى إلى تغيير الواقع العقدي والسياسي والأخلاقي لكافة بلاد المسلمين، وتذكيرهم بأن ما يقوله ويفعله كثير من الحداثيين من نفاق ومداهنة، فإنما هو عمل مرحلي للوصول إلى مآربهم[2])

[1]- بن أحمد العلي محمد بن عبد العزيز،**الحداثة في العالم العربي،" دراسة عقدية"**،مرجع سابق، ص-ص1566.

[2]- المرجع نفسه، ص-ص1566-1567.

وهذا أمر ضروري لابد منه لأنه فيه نوع من التوعية بحيث للمسؤولين في العالم العربي أو الإسلامي دور كبير في وضع الأساسيات التي يسير عليها النظام المسيّر للمجتمع وبهذا من المهم جدا توعيتهم وحثهم على خطورة الفكر الحداثي على أمن واستقرار مجتمعاتهم.

ثالثا: (تذكير علماء المسلمين بحقيقة مبادئ الحداثة وأصولها وأهدافها، وفضح أسسها الثائرة على مصادر الدين، والمتردة على السياسات الحاكمة، والهادمة للأخلاق والقيم الشرعية، وحث العلماء على التصدي لهم، فإن قول العالم أشد قبولا وقناعة عند المسؤولين، والمسلمين جميعا)

ودور التوعية هنا له أهمية كبيرة في التذكير دائما بخطورة الفكر الحداثي على الفكر الإسلامي والتصدي له بمختلف الوسائل والطرق لأن للعلماء قدرة في مواجهة هذا الخطر الذي يهدد مصادر الدين والقيم والمبادئ الأخلاقية.

رابعا: (ومن وسائل مقاومة الحداثة وفضحها وكشفها على حقيقتها الفكرية، ونزع ما تتستر به من ادعاء للتجديد في الأدب والشعر، ونحو ذلك من الأردية، فلابد إذن من فضح الحداثة وكشفها للمسلمين، وذلك بتأليف الكتب العلمية الموضوعية، التي تبين أسس الحداثة وتكشف عن مبادئها وأهدافها الحقيقية، بنشر أقوالهم الثورية، المتمردة على مصادر الدين وما جاءت به وتحذير الناس منها.)

من الواجب فضح وكشف حقيقة الأخطار الحداثية وتوعية الناس بخطورة أفكارها وتبيان طرقها في عزل الناس عن الدين وإبعادهم عن المصادر الأصلية بشتى الطرق عن طريق نشر الكتب مثلا التي توعي الناس وتحثهم على مخاطر الحداثة وأساليب التحدي لها فلابد من من العمل بشتى السبل من أجل توعية المسلمين وتحذيرهم من هذا الداء الخبيث تحصينا لهم ولناشئتهم منه ومن أثاره الخطيرة.

خامسا: (المطالبة بدراسة هذا المذهب الباطل في المجامع الفقهية، على مستوى كبير، من قبل علماء المسلمين لبيان حكم الإسلام فيه، ومن ثم رده والوقوف في وجهه لتحصين المسلمين من شره)[1].

هذا أمر لابد منه لأنه من الضروري جدا أن يدرس هذا المذهب دراسة فقهية من أجل إيجاد الحل المناسب والقرار الصائب للوقوف والتصدي لهذا الخطر الذي يهدد العقل العربي الإسلامي والأمن القومي.

سادسا: (توعية المكتبات ودور النشر وتحذيرهم من مغبة المشاركة في نشر هذا المذهب الباطل)[2].

ولهذه التوعية دور أساسي في محاولة القضاء على هذا المذهب والإبطال من أخطاره ولو بالجزء القليل من حيث محاولة التصدي ومنع كل المنشورات التي تحث على هذا المذهب الباطل.

سابعا: (العمل بشرع الله –سبحانه وتعالى– على كل حداثي يقدح في دين الله وشرعه، فإننا نقرأ ونسمع من كثير من الحداثيين لمز وغمز بمصادر الدين، وبقضايا العقيدة، وأحكام الشريعة، بل نقرأ لبعضهم تصريحا بالكفر، من الاستهزاء بالله ورسوله ودينه، مما يعد ردة أو كفرا، يستلزم الحكم عليهم بحكم الله، ولنا في سلفنا الصالح أسوة حسنة، في مواقفهم من المرتدين ومن أهل الزندقة وأصحاب البدع، حيث عملو بحكم الله فيهم، حفاظا على عقيدة الأمة وأمنها، فإن شرع الله –جل وعلا– فيه الخير والأمن والطمأنينة والسعادة في الدنيا والآخرة، فلو أقيم شرع الله –سبحانه وتعالى– على حداثي واحد، لارتدع البقية، ولتطهرت صحف المسلمين ووسائلهم من كل منكز.[3])

[1]- المرجع السابق، ص.1569.
[2]- بن أحمد العلي محمد بن عبد العزيز،**الحداثة في العالم العربي، "دراسة عقدية"**،مرجع سابق، ص.1569.
[3]- المرجع نفسه، ص.1569.

وهذا رأي ووسيلة منطقية ومحكمة للحد من الاعتداءات والهجومات الحداثية على مصادر الدين وقضايا العقيدة، فلابد من مواجهتها من منطلق المصدر التي ترفضه حتى يكون لهذا الأخير صدى وتأثير عليها ومحاولة توقيفها والحد من مهاجمتها.

وخلاصة لما عرضناه مسبقا فإن هذه الحلول والوسائل لمقاومة الحداثة والحد من خطورتها على العالم العربي وخاصة الإسلامي والهجوم العنيف على مصادر الدين وقضايا الشريعة لابد منها ويجب تطبيقها على أرض الواقع من أجل محاولة التوفيق بينها "الحداثة" وبين الفكر العربي حتى يكون هناك نوع من الامتزاج بين الفكر الحداثي والفكر العربي ومحاولة قدر الإمكان من جعلهما متقاربين على الأقل من خلال تطبيق مستجدات الحداثة والمحافظة على مكانة الإسلام والقداسة الدينية.

خلاصة الفصل.

الحداثة منهج فكري متميز يسعى لتغيير واقع الحياة ليتفق مع ما يطرحه ذلك الفكر من مفاهيم وأساليب للحياة، ومن نظرات خاصة لصياغة الإنسان وفق معطيات ذلك الفكر، وهي تصور إلحادي جديد تماما للكون والإنسان والحياة، بحيث كانت لها خطورة كبيرة على العالم العربي وخاصة الإسلامي كما أنها كانت ترفض مصادر الدين وقضايا الشريعة وتحاول القضاء عليها وهدمها لذا تشكلت وتبلورت العديد من الوسائل والحلول لمقاومة هذا الخطر الحداثي والتصدي له بشتى السبل من أجل الحفاظ على الكيان العربي الإسلامي.

الخاتمة

تعتبر الحداثة واحدة من أهم المشكلات الفلسفية الحالية، فهي تقدم وصفا كليا لمجمل التغيرات الفلسفية واللا هوتية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مؤثرة في مجمل سيرورة التاريخ الغربي والعربي فمن خلال بحثنا هذا عن الحداثة في الوطن العربي توصلنا إلى النتائج التالية:

1)- أن الحداثة مذهب فلسفي باطني، يسعى إلى تحديث مصادر التلقي، وما جاءت به من عقيدة وشريعة، بحيث يسعى إلى تجديد كل ما هو موروث وقديم حتى ما جاءت به العقيدة والشريعة بغض النظر عن القداسة و الاعتقاد.

2)- أن الحداثة غريبة عن العالم العربي، فهي مستوردة من الحداثة الغربية في كل اتجاهاتها ومجالاتها الواسعة وهذا راجع إلى مصدرها والمكان الذي نبعت منه فهي منقولة بحذافيرها إلى العالم العربي.

3)- أن للحداثة دعاة وأتباعا كثر، انتشروا في الدول العربية، وتغلغلوا في المؤسسات والدوائر الحكومية والمؤسسات والمراكز العلمية والثقافية، وبخاصة وسائل الإعلام، والأندية والمهرجانات ونحو ذلك، وبالتالي استغلال هذه الوسائل في نشر أفكارهم الثورية، والعمل على ترسيخها والتأكيد على ضرورة بقاءها.

4)- أن الحداثة تقوم على عقيدة صراع الأضداد ومبدأ النقيض، فالحداثة عندهم هي نتيجة صراع الفكر الحديث مع العقائد القديمة، كما أن الحداثة لابد أن تتصف بالمخالفة والمناقضة لكل ماهو قديم وسائد، لأن مبدأ التناقض من أهدافها ,أسسها بحيث هي تفرض مستجداتها على مختلف الأصعدة وتحاول قدر الإمكان القضاء على كل ماهو قديم وموروث.

5)- العمل على تحويل المصادر الشرعية القديمة وتغييرها باسم التطور والتحديث، وهذا هو هدفها الأسمى في العالم العربي فهي تسعى وراء تحديث هذه المصادر قدر المستطاع.

6)- تعمل على رفض القديم والثابت، والسائد والمألوف، والراكد والمعروف، من العقائد والشرائع والقيم والسياسات،لأن صميمها وهدفها الأساسي فرض مستجداتها والعمل على التغيير والتحديث والتطوير ولو على حساب المبادئ والمعتقدات السائدة.

7)- ترفض مصادر الدين والعقيدة، وترى ضرورة في نقدها وعدم الخضوع لما جاءت به لأنها قديمة ثابتة غير قابلة للتغيير، لأن هذا ما يعيق حركتها ويجعلها تتوقف عن فرض أساليبها ومستجداتها الحديثة التي تعمل على ترسيخها وتثبيتها.

قائمة المراجع و المصادر

أ) قائمة المصادر باللغة العربية

1- أركون محمد، ترجمة: صالح هشام، الإسلام والحداثة، دار بديات، (ب، ط)، سوريا، السنة 2008م.

2- الجابري محمد عابد،التراث والحداثة، "دراسات ومناقشات"، مركز دراسات الوحدة العربية ط1، بيروت، لبنان، السنة 1991م.

3- بن أحمد العلي محمد بن عبد العزيز، الحداثة في العالم العربي،" دراسة عقدية"، المجلد الأول السنة 1414هـ

ب) قائمة المصادر باللغة الفرنسية.

1-Nietzsche (F),la généalogie de la morale,Notes et commentaires de J.Deschamps,Nathan,1981

جـ) قائمة المراجع باللغة العربية.

1- التريكي فتحي، الحداثة ومابعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، السنة2003م

2- النحوي عدنان علي رضا، نظرية تقويم الحداثة، نظرية تقويم الحداثة، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، السنة 1993م.

3- حسين محمود رواء، إشكالية الحداثة في الفلسفة المعاصرة، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، السنة 2010م.

4- سبيلا محمد وبنعبد العالي عبد السلام، الحداثة وانتقاداتها، نقد الحداثة من منظور غربي، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، السنة2006م.

5- سبيلا محمد وبنعبد العالي عبد السلام، الحداثة وانتقاداتها، نقد الحداثة من منظور عربي- إسلامي، دار توبقال للنشر،ط1 ، الدار البيضاء، المغرب، السنة2006م.
6- عياد محمد شكري، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، سلسلة عالم المعرفة السنة 1998م

د) قائمة المعاجم باللغة الفرنسية.

1- Dictionnaire International des termes littèraires,mode article,modernity ,(http :www.ditl.info/art/ Definition,php,term=2976.

هـ) قائمة المجلات.

1- وطفة علي، مقاربة في مفهوم الحداثة ومابعد الحداثة، "مجلة فكر ونقد" ، المغرب، العدد (34)، السنة 2005م.
2- النحوي عدنان علي رضا، تقويم نظرية الحداثة، "مجلة فصول"، العدد3)، المجلد(4) مصر، السنة 1984م.

و) المواقع الإلكترونية.

1- www.diwanalarab.com
2-www.arabphilosophers.com